(٩) خطبة جامعة له ﷺ
فى التحذير من الابتداع

عن ابن مسعود أن النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم حمد الله وأثنى عليه ثم قال :

« أمّا بعدُ .. إنَّما هُمَا اثْنَتَانِ : الكلامُ والهدى ، فَأَحْسَنُ الكَلام كلامُ الله، وأحسنُ الهَدْى هَدْىُ محمد ، ألاَ وإياكم ومحدثاتِ الأمور ، فإنَّ شرَّ الأمور مُحْدَثاتُها ، وكلّ محدثة بدعةٌ ، وكلّ بِدْعَة ضلالةٌ ، ألا لا يطولنَّ عليكم الأمَدُ[١] ، فتقسو قلوبُكم[٢] ، ألاَ إنَّ كلَّ ما هو آتٍ قريبٌ ، وإنما البعيدُ ما ليسَ بآتٍ ، ألاَ إنما الشقىُّ مَنْ شَقِىَ فى بطنِ أمه[٣]، والسعيدُ من وُعِظَ بغيره. ألاَ إنَّ قتالَ المؤمن كفرٌ ، وسِبَابه فُسُوقٌ[٤] ، ولا يحلّ لِمُسْلِمٍ أن يهجرَ أخاه فوقَ ثلاثٍ[٥]، ألاَ وإياكم والكَذِب ، فإنَّ الكذبَ لا يصلحُ لا بالجِدِّ ولا بالهَزْل ، ولا يَعِدِ الرجلُ

---

(١) أى : المدة والزمان .

(٢) إنه ﷺ يشير إلى قوله تعالى : ﴿وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ . [الحديد : ١٦].

(٣) أى : من قدر كونه شقياً فى أصل خلقته فشقى حقيقة .

(٤) أى أن شتمه خروج عن طاعة الله تعالى وليس هو من صفات المؤمنين ، وكذلك قتال المؤمن فهو حرام كالكفر .

(٥) محل حرمة الهجر فوق ثلاث ما لم يكن هجره لله تعالى ، وإلا فلا .

صَبِيَّه فلا يَفِى له ، وإنَّ الكذبَ يَهدى إلى الفُجور ، وإنَّ الفُجور يَهدى إلى النار ، وإنَّ الصدقَ يهدى إلى البِرِّ ، وإنَّ البِرَّ يهدى إلى الجَنَّة . وإنه يقال للصادقِ صَدَقَ وَبَرَّ ، ويقال للكاذبِ كَذَبَ وفَجَرَ . ألاَ وإنَّ العبدَ يكذبُ حتى يُكتبَ عندَ اللهِ كَذَّاباً» . .

(أخرجه ابن ماجه بسند جيد)

فى هذه الخطبة الجامعة ـ كما قرأنا ـ يركز الرسول صلوات الله وسلامه عليه على بعض الأمور المهمة التى منها :

أن الشقى من شقى فى بطن أمه : أى أن السعيد كذلك من سعد فى بطن أمه ، وهذا هو ما أشار إليه الرسول ﷺ فى الحديث الذى يقول فيه :

« إنَّ أحدكم يُجمع خَلْقُه فى بطن أمه أربعينَ يوماً نطفةً ، ثم يكونُ علقةً مثلَ ذلك ، ثم يكونُ مُضْغَةً مثلَ ذلك ، ثم يَبعثُ اللهُ مَلَكاً ويؤمر بأربع كلماتٍ، ويقال له : اكتبْ عملَه ، ورزقَه ، وأجَلَه ، وشقىٌّ أو سعيدٌ . ثم ينفخ فيه الروح . فإنَّ الرجلَ منكم لَيعملُ بعملِ أهلِ الجَنَّةِ حتى ما يكونُ بينه وبينها إلا ذراعٌ فيسبقُ عليه الكتابُ فيعملُ بعملِ أهلِ النار فيدخل النار . وإنَّ الرجلَ لَيعملُ بعملِ أهلِ النار حتى

ما يكون بينه وبينها إلا ذراعٌ فيسبقُ عليه الكتابُ فيعملُ بعملِ أهلِ الجَنَّةِ فيدخل الجَنَّةَ »[1] .

وأن قتال المؤمن كفر، أى: حرام كالكفر، أو محمول على من استحل ذلك، إذ معلوم من الدين بالضرورة أن من حلَّل الحرام أو حرَّم الحلال المُجمَع عليه كَفَر، أو هو مؤدٍّ إليه: فعن أبى بكرة أن النبى ﷺ، قال:

« إذا التقى المسلمانِ بسَيفيهما فقَتل أحدُهما صاحبَه فالقاتلُ والمقتولُ فى النَّار » قيل: يا رسول الله . هذا القاتل، فما بال المقتول ؟ . قال: **« إنَّه كانَ حريصاً على قَتْلِ صاحبِه »**.

(أخرجه أحمد، والشيخان، وأبو داود، والنسائى)

وأنه لا يحل للمسلم أن يهجر أخاه المسلم فوق ثلاث ليال، ما لم تكن الهجرة هذه لله تعالى، وحينئذ ستكون حلالاً، والدليل على هذا: قصة الثلاثة الذين تخلفوا عن غزوة تبوك، وقد نظم هذا بعضهم فقال:

يَا هَاجِرى فوقَ الثَّلاثِ بلا سَبَبْ خَالفتَ شرعَ المُصْطَفَى أزْكَى العَرَبْ
هَجْرُ الفَتَى فوقَ الثَّلاثِ محرَّمٌ مَا لمْ يكنْ فِيهِ لِمَوْلانا سَبَبْ

---

(١) أخرجه البخارى، ومسلم، وأبو داود، والترمذى، والنسائى، وابن ماجه .

ثم يختم الرسول صلوات الله وسلامه عليه خطبته بالتحذير من الكذب، والترغيب فى الصدق. وفى الحديث الشريف:

« عليكم بالصِّدق؛ فإن الصِّدق يهدى إلى البِرِّ، والبر يهدى إلى الجَنَّة، وما يزالُ الرجلُ يَصْدُقُ ويَتحرَّى الصِّدقَ حتى يُكتبَ عند الله صِدِّيقاً، وإياكم والكَذِب؛ فإن الكذبَ يهدى إلى الفُجور، وإن الفجورَ يهدى إلى النار، وما يزالُ العبدُ يكذبُ ويتحرَّى الكذبَ حتى يُكتبَ عندَ اللهِ كَذَّاباً ».

(رواه البخارى، ومسلم، عن ابن مسعود رضي الله عنه)

وعن أبى هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

« آيةُ المنافقِ ثلاثٌ: إذا حدَّثَ كَذَبَ، وإذا وَعَدَ أَخْلَفَ، وإذا عَاهَدَ غَدَرَ ». (رواه البخارى، ومسلم، وزاد مسلم فى رواية له: **« وإنْ صامَ وصلَّى وزعمَ أنه مُسْلِم »** . .).

فلننتفع جميعاً بهذه الخطبة العظيمة، ولنكن من المنفِّذين لكل ما أمر به الرسول ﷺ فى هذه الخطبة، ولنكن من المجتنبين لكل ما نهى عنه فيها إذا أردنا لأنفسنا نجاحاً وسعادة فى الدنيا والآخرة.

* ففى القرآن الكريم يقول الله تبارك وتعالى:

﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾(١) .

ويقول تبارك وتعالى :

﴿ مَّن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ﴾(٢) .

والله ولى التوفيق .

* * *

(١) سورة الحشر : ٧ .

(٢) سورة النساء : ٨٠ .

obeikandl.com